قصص القرآن (١)

قـــــــــصـة آدم قـــصة ابـــني آدم

قصة سفينة نوح

تأليف

عبد العزيز سيد هاشم ياســـــر علـــــي نـــــور

مـصطفى عبـد العزيـز محمد محمود القاضي

عاطف عبد الرشـيـد

تهذيب وتدقيق

محمد بسام حجازي

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أحلَى القرآنَ الكريمَ! وما أحسنَ قَصصَه! قالَ اللهُ تعالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣].

ومَن يقرأُ القرآنَ الكريمَ يجدُ فيهِ آياتٍ كثيرةً تَتناولُ قِصصًا مُتنوِّعةً ومفيدةً، مِنها قِصصُ الأممِ السابقةِ، مثلَ: قومِ نوحٍ، وعادٍ، وثمودَ... وغيرِهم، ومِنها قِصصُ الأنبياءِ والرسلِ الّذين دَعَوْا إلى عبادةِ اللهِ الواحدِ الأحدِ، ومِنها قصصٌ لأناسٍ ليسوا بأنبياءَ، لكنَّهُم آمنوا باللهِ ودعَوْا قومَهُم لعبادتِه، ووقَفُوا معَ الحقِّ أمامَ الباطلِ.

ومَوضوعاتُ قَصصِ القُرآنِ مُتعدِّدةٌ، والمسلمُ العاقلُ الرشيدُ هوَ الّذي يتعلَّمُ مِن القَصصِ القُرآنيِّ العِبرةَ والعِظةَ، فيزدادُ إيمانُه باللهِ سبحانَه، ويثقُ في أنّ الإسلامَ هوَ دينُ اللهِ الذي يُصلِحُ اللهُ به الكونَ.

وهذه السلسلةُ تتناولُ قصصَ القرآنِ الكريمِ، كَما تَحكِيها لنا آياتُ القرآنِ، يقولُ اللهُ تعالَى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

❊❊ ❊❊ ❊❊

obeikan.com

قصة آدم

قبلَ أن يخلُقَ اللهُ آدمَ مِن الطينِ، وينفُخَ فيه الروحَ، قالَ لِملائكتِه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فأرادتِ الملائكةُ أنْ تعرِفَ الحكمةَ مِن ذلكَ فتساءَلتْ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؟ فقالَ تعالَى للملائكةِ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

وبعدَ أَنْ خلقَ اللهُ تعالَى آدمَ، وعلَّمَه أسماءَ كلِّ شيءٍ، سألَ الملائكةَ عَنْ أسماءِ هذِه الأشياءِ، فلَمْ تَعرِفْها الملائكةُ، وقالتْ: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾، فأمرَ اللهُ آدمَ أنْ يخبرَهُم بأسماءِ تلكَ الأشياءِ، فأخبرَهُم آدمُ بِها، فعرَفَتِ الملائكةُ مكانَةَ هذا المَخلوقِ الجديدِ.. وأمرَ اللهُ الملائكةَ أَنْ تَسجُدَ لآدمَ إكرامًا له، فسجدَتْ له المَلائكةُ، وكانَ معَهُم إبليسُ، فرفضَ السُّجودَ وتكبَّرَ، وقالَ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾، فطرَدَه اللهُ مِن رحمتِهِ.

ثُمَّ خلقَ اللهُ حوّاءَ؛ خلقَها مِن ضِلعِ آدمَ لتعيشَ مَعَه وتُؤنِسَه، وأمرَهُما أَنْ يَدخُلا الجنّةَ، ويأكلا مِن ثِمارِها، ويَشرَبا مِن أنهارِها، وأَنْ يتمتَّعا بِما فِيها مِن نعيمٍ.

وأَرادَ اللهُ تعالَى أَنْ يَمتحنَ آدمَ وحوّاءَ، فأمرَهُما ألّا يقتَرِبا مِن شجرةٍ واحدةٍ في الجنّةِ، وألّا يَأكُلا مِنها، لكنَّ الشيطانَ اللّعينَ أرادَ لَهُما معصيةَ اللهِ كما فعلَ هوَ وامتنَعَ عنِ السُّجودِ، فأخذَ يُوسوسُ لَهما ويزيِّنُ لَهُما الأكلَ مِنَ الشجرةِ، ويقولُ لَهُما: إنَّ تلكَ الشجرةَ ستجعلُكُما تعيشانِ ولا تَموتانِ أبدًا. وأَقسَمَ لَهُما بذلكَ، وحلَفَ كَذِبًا وبُهتانًا، فاستجابَ آدمُ وحوّاءُ للشّيطانِ، ونسِيا تَحذيرَ اللهِ لَهُما، واقترَبا مِنَ الشجرةِ، وأكلا مِنْ ثِمارِها.

ولَمّا أكلا مِن تلكَ الشجرةِ انكشَفَتْ عَوْرَتاهُما، فأخَذا يُغطِّيانِها بوَرَقِ الجنّةِ، وقد أَحسّا بِالخجَلِ والحَياءِ مِنَ اللهِ سُبحانَه؛ لأنَّهُما عَصَياهُ وأكلا مِنَ الشجرةِ، فناداهُما اللهُ سُبحانَه، وقالَ لَهُما: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾؟ فاعترفَ آدمُ وحوّاءُ بِذنبِهِما

وخطَئِهما، وتوجَّها إلَى اللهِ سُبحانَه يطلُبانِ مِنه المَغفرةَ والصَّفحَ والعَفوَ عَنْهُما، وقالا في خُضوعٍ وتَذَلُّلٍ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

فقبِلَ اللهُ سُبحانَه اعتذارَهُما وتابَ عليهِما، ثُمَّ أمرَهُما أَنْ يَهبِطا إلَى الأرضِ، ويَسكُنا فيها، ويأخُذا حِذْرَهُما مِنَ الشّيطانِ؛ لأَنَّـهُ عدُوٌّ لَهُما.

خرَجَ آدمُ وحوّاءُ مِنَ الجَنةِ، وهَبَطا إلَى الأرضِ لِيُواجِها الحياةَ ومَتاعِبَها. وبدأَ آدمُ يُمارِسُ مُهمَّتَه الّتي خلقَه اللهُ مِن أجلِها، وهيَ الخِلافةُ في الأرضِ لِعِمارتِها وعبادةِ اللهِ تعالَى.

وأنجبَ آدمُ وحوّاءُ ذُرِّيّةً كثيرةً، فكَبِرَ الأبناءُ، وبدأَ آدمُ يُعلِّمُهُم أوامرَ اللهِ ونواهيَه، ويحذِّرُهُم مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ.

❊❊ ❊❊ ❊❊

قصةُ ابنَيْ آدمَ

ظلَّ يُفكِّرُ طويلًا، لم تَذُقْ عيناه طَعمَ النَّومِ؛ لأنَّ الشَّيطانَ يُوسوِسُ إليهِ.. لِماذا فضَّلهُ اللهُ عليكَ؟ أنتَ أفضلُ مِنه. واشتعلَ قلبُه بنارِ الحِقدِ والغَيرةِ، فأصرَّ علَى أَنْ يتخلَّصَ مِنه ويَقتُلَه.

إنَّه قابيلُ بنُ آدمَ الأكبرُ، الّذي لم يَقبلْ حُكمَ اللهِ حِينما أشارَ أبوهُ آدمُ عليهِ وعلَى أخيهِ بأَنْ يُقدِّمَ كُلٌّ مِنهُما قُربانًا إلَى اللهِ، فنزلَتْ نارٌ مِنَ السماءِ، فأكلَتْ قُربانَ الِابنِ الأصغرِ، دَلالةً علَى قَبولِ اللهِ سُبحانَه لقُربانِه، وتَركتْ قُربانَ الِابنِ الأكبرِ؛ فاشتدَّ غيظُه، واشتعلَ قلبُه بنارِ الغَيرةِ والعَداوةِ.

قالَ تعالَى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ﴾ [المائدة: ٢٧].

وانتهزَ الشيطانُ الفُرصةَ، فأَخذَ يُزَيِّنُ لَه فِكرةَ التخلُّصِ مِن أَخيهِ، حتَّى توجَّهَ إليهِ وهدَّدَه قائِلًا: لَأَقتلنَّكَ.

وكانَ أخوهُ هابيلُ قويًّا لكنَّه لَمْ يُقابلِ الإساءةَ بمِثلِها،

وإنَّما ردَّ عليهِ بقولِه: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

لكنَّ هَذا الردَّ الجَميلَ، وهَذا العفوَ والتَّسامحَ لَمْ يُؤثِّرْ في أخيهِ، بلِ ازدادَ حِقدُه، وأَصرَّ علَى ارتكابِ تلكَ الجَريمةِ البَشِعةِ، ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

فلمّا قتلَ أَخاهُ نَدِمَ نَدَمًا شَديدًا، وظلَّ في حَيرَةٍ؛ فماذا يَفعلُ بجُثّةِ أَخيهِ؟

رأَى غُرابًا يَحفِرُ في الأرضِ حُفرةً صَغيرةً، ثُمَّ دَفنَ فِيها جُثةَ غُرابٍ مَيِّتٍ. عِندَئِذٍ دَفنَ قابيلُ أخاهُ وهُوَ حزينٌ علَى ما فَعلَ.

وهَكذا نَجدُ أنَّ الحِقدَ والطَّمعَ جَعلا ابنَ آدمَ يرتكبُ أوَّلَ جَريمةِ قتلٍ في تاريخِ البَشَريّةِ. فالمُؤمنُ لا يُقاتلُ أخاهُ ظُلمًا وعُدوانًا، ولا يَرتكبُ الكبائرَ الّتي تُغضبُ اللهَ سُبحانَه؛ لأنَّه

يَعلمُ أنَّ اللهَ أعدَّ لَه خَيرًا مِنَ الدُّنيا وما فِيها، أَعدَّ لَه الجَنّةَ ونَعيمَها، ومَنْ يَعترِضُ علَى حُكمِ اللهِ وقَضائِه فإنَّه يَضلُّ ويَشقَى، ويَخسرُ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

** ** **

قصة سفينة نوح

تلبَّدَتِ السماءُ بالغيومِ، وتَساقطَ المطرُ الغزيرُ كأنَّه سيلٌ متدفِّقٌ، وانشقَّتِ الأرضُ، وتَفجَّرَ الماءُ مِن باطنِها كفَيَضانٍ كاسحٍ لا يَصُدُّه شيءٌ، واندفعَتْ سُيُولُ الماءِ بسُرعةٍ مُخيفةٍ تَجرُفُ كلَّ ما في طريقِها، وتقتلِعُ الأشجارَ والبُيوتَ وكلَّ شيءٍ. وارتفعتِ الأصواتُ المذعورةُ تَستغيثُ: النجدةَ.. النجدةَ.. الكلُّ يُحاولُ النجاةَ بنفسِه، لكِنْ لا مَفرَّ مِن عَذابِ اللهِ. وما هيَ إلّا ساعاتٌ قلائلُ حتَّى غطَّى الماءُ كلَّ شيءٍ، فخَمَدتِ الأنفُسُ وسكَنَتْ صرَخاتُ الِاستغاثةِ.

وقِصّةُ أولئكَ المعذَّبينَ تَرجِعُ إلَى زمنٍ بعيدٍ؛ حيثُ كانَ

يَعيشُ علَى أَرضِهم خَمسةُ رِجالٍ صالحينَ، هُم: وَدٌّ، وسُواعٌ، ويغوثُ، ويعوقُ، ونسرٌ. وكانَ الناسُ يُحبُّونَهُم حُبًّا شَديدًا، ويَهتدُونَ بهَديِهم. ولَمّا ماتَ أولئكَ الصّالحونَ، حزِنَ الناسُ لِفراقِهِم حُزنًا شَديدًا، واقترحَ أحدُهُم أَنْ يَصنَعُوا لَهُم تَماثيلَ تُذكِّرُ الناسَ بِهِم، فأَعجبَتْهُمُ الفكرةُ، ونفَّذُوها.

ومرَّتِ السِّنونَ، وماتَ الأجدادُ والآباءُ، وجاءَ جِيلٌ وراءَه جيلٌ، ونسيَ الناسُ أنَّ تلكَ التماثيلَ مجرَّدُ ذِكرَى للصّالحينَ، وأَغواهُمُ الشيطانُ، فجعلَهُم يتقرَّبونَ إِلَيهِم تبرُّكًا بِأصحابِها، وشَيئًا فشَيئًا عبَدُوها، وترَكُوا عِبادةَ اللهِ الواحدِ القَهّارِ.

عندَئذٍ أرسلَ اللهُ سُبحانَه إِلَيهِم نبيًّا مِنهُم هوَ نوحٌ عليه السلام؛ لِيُخرجَهُم مِن ظُلُماتِ الشِّركِ إِلَى نُورِ الإِيمانِ، وحذَّرَ نوحٌ قومَه، فقالَ لَهُم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

واستمرَّ نُوحٌ يَدعُوهُم بالحكمةِ والمَوعظةِ الحسنةِ لِيَرجِعُوا عَن كُفرِهم، ويَترُكوا عِبادةَ الأصنامِ، ويَعبُدوا اللهَ وحدَه لا يُشرِكونَ بِه شَيئًا.

أخذَ نُوحٌ يُقدِّمُ لهمُ الأدلّةَ علَى صِدقِ دَعوتِه، ويَلفتُ أنظارَهُم إلى ما في الكَونِ مِن دَلائلِ قُدرةِ اللهِ ووَحدانيَّتِه، فيَقولُ لَهُم: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ١٨ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ [نوح: ١٣-٢٠].

فاستجابَ لَه عددٌ قليلٌ مِن أصحابِ العُقولِ الرّاجِحةِ، وظلَّ باقي قَومِه علَى ضلالِهم وشِركِهم باللهِ، وكذَّبُوهُ وقالُوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾. ودَعَوُا الناسَ إلَى التمسُّكِ بالشِّركِ والضلالِ، وقالُوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾.

وصبرَ نُوحٌ، واستمرَّ يَدعُو قومَه إلَى اللهِ لَيلًا ونهارًا.. سِرًّا وعَلانيةً، وكانَ يُحبِّبُهُم في طاعةِ اللهِ ويُرغِّبُهُم فِيما عِندَه مِنَ الخَيرِ الوَفيرِ، فقالَ لَهُم: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ

غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرًا﴾.

فقالُوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾، وهدَّدُوه هوَ والّذينَ آمنُوا معَه بالقتلِ فقالُوا: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾، ولَمْ يخشَ نوحٌ والّذينَ آمنُوا معَه مِن تَهديداتِ الكافرينَ، بلْ زادَتْهُم إيمانًا. واستمرَّ نوحٌ يَدعُوهُم تِسْعَمِئةٍ وخَمسينَ عامًا. وظلَّ يُحذِّرُهُم مِن عذابِ اللهِ، فلَمْ يُؤمنْ بِه إلّا جَماعةٌ قليلةٌ، أمّا أكثرُهم فقَدْ ضاقوا بِه وبِدعوَتِه، وقالُوا: ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

فحَزِنَ نوحٌ مِن جُرأَتِهِم علَى اللهِ، وتَعجَّبَ مِنِ اسْتِعجالِهِمُ العذابَ، وظلَّ يَدعُوهُم حتَّى جاءَهُ الوَحْيُ: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾.

ورَضيَ نوحٌ بقَضاءِ اللهِ وقدَرِه، وأَيقنَ أنَّ مشيئَتَه نافذةٌ،

فرَفعَ يدَيْهِ إلَى السماءِ، ودَعا ربَّه قائِلاً: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾، فاستجابَ اللهُ سُبحانَه دُعاءَ نبيِّه، وأمرَه أنْ يَصنعَ سفينةً كبيرةً، ثُمَّ يَجمَعَ فِيها مِن كُلِّ شيءٍ زَوجَينِ اثنَيْنِ: مِنَ الطُّيورِ والحيَواناتِ ومِن غيرِها، ثُمَّ يَركبَ السَّفينةَ هوَ والّذينَ آمنُوا معَه؛ فاستجابَ نُوحٌ لِأمرِ ربِّه، وبدأَ هوَ والّذينَ آمنُوا معَه يَعملُونَ في صُنعِ السَّفينةِ، وكُلَّما مرَّ عليهِمُ الكافرونَ استهزَؤُوا بِهِم وسَخِرُوا مِنهُم، وتَعالَتْ ضَحِكاتُهُم مِن أولئكَ الّذينَ يَصنعونَ سفينةً علَى أرضٍ لَيسَ بِها بحرٌ ولا نهرٌ، فيُجيبُهُم نُوحٌ: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾.

ولَمّا حانَتْ ساعةُ العذابِ وضعَ نُوحٌ في السفينةِ كُلَّ الأزواجِ الّتي جمعَها، ونادَى أهلَه ومَن آمَنَ بِه، وقالَ: ﴿ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وصدرَ أمرُ اللهِ إلَى السماءِ والأرضِ أَنْ تُخرِجا ماءَهُما، فنزلَتِ الأمطارُ مِنَ السماءِ، وتفجَّرَ الماءُ مِنَ الأرضِ،

وارتفعَ الماءُ رُوَيدًا رُوَيدًا حتَّى تعالَتْ أَصواتُ المُستَغِيثينَ.

وكانَ ابنُ نوحٍ كافرًا لَمْ يُؤمنْ باللهِ، ولَمْ يَستجِبْ لِأبيهِ، رَآهُ نوحٌ يَخوضُ في الماءِ مُسرِعًا، يَبحثُ عَن شيءٍ يَحتمِي بِه، فناداهُ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

سمعَ الابنُ دَعوةَ أبيهِ، لكنَّهُ تمسَّكَ بكُفرِه وشِركِه، وقالَ: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾، وواصَلَ ابتِعادَه، فبيَّنَ نُوحٌ لِابنِه العاقِّ حَقيقةَ ما لا يَعلمُ، فقالَ لَه: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾. وهاجَتِ الأمواجُ العاليةُ فأخذَتْ ذلكَ الابنَ فأَهلكَتْهُ.

ودعا نُوحٌ ربَّه: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾، وجاءَه الجوابُ سَريعًا: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾، فرضيَ نوحٌ بقَضاءِ اللهِ، وقالَ مُعتذِرًا: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

وهكَذا تطهَّرَتِ الأرضُ مِن المُشركينَ والمُلحِدينَ،

وصدَرَ الأمرُ الإلهيُّ إلَى السّماءِ والأرضِ: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾، وقلَّ الماءُ تَدريجِيًّا حتَّى رَستِ السفينةُ علَى الأرضِ، فقالَ اللهُ سُبحانَه: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ [هود: ٤٨].

وهكَذا نجَّى اللهُ نُوحاً ومَن معَه مِنَ المُؤمنينَ، وأَغرَقَ الكافرينَ، وهَذا هُوَ العَدلُ الإلهيُّ الّذي لا يَظلِمُ أحَدًا، فمَصيرُ الكافرِ إلَى النّارِ وإِنْ كانَ ابناً لنبيٍّ، والنجاةُ لا تكونُ إلّا لِكلِّ مُؤمنٍ بِاللهِ.

فالإيمانُ هوَ الأساسُ الّذي يَضمَنُ للمرءِ الأمنَ والسّعادةَ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

** ** **